المعصرات

السؤال : يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ . . فما معنى كلمة : ﴿ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ ؟

الجواب : وقف العلماء فيها . . ولابد أولاً من أن نبحث المعنى اللغوى . . ما معنى مُعصر ؟ . . مُعصر ، من أعصر ، وأعصر معناها : الجارية حان وقت إنجابها ، جارية معصر ، يعنى : حان وقت إنجابها . يعنى : حاضت ، وبدأت تصلح لعملية الإنجاب . قال الشاعر :

فكان حجابى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر [1]

يعنى : فتاة ناهد بلغت سن الأنوثة التى تصلح فيها أن تنجب .

إذن . . فما المقصود فى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ ؟ [النبأ : ١٤] .

بعضهم يقول : الرياح ، وبعضهم يقول : السحب ، وبعضهم يقول : قمم الجبال ، المهم أنها من شىء أعصر . يعنى : حان وقت إنجابه . . الريح تحمل السحاب . إنما ليس كل ريح تحمله السحاب يمطر . لابد أن يبلغ منطقة باردة لكي يتكثف وينزل .

كذلك الجبال ؛ ليس كل جبل له قمة ينزل عليها ماء لابد أن يكون جبلاً له قمة عالية : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ فإسقاء الماء مرتبط بشموخ الجبال .

---

(١) القائل هو : عمر بن أبى ربيعة .

الجزاء .. والعطاء

السؤال : **حينما يتحدث القرآن عن عقاب الكافرين والظالمين يعبر عنه بلفظ « الجزاء » . . وعندما يتحدث عن ثواب المؤمنين يعبر عنه بلفظ : « العطاء » . . فما الفرق بين المعنيين ؟**

الجواب : نعم . . حين تحدث القرآن عن العصاة قال : ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ : ٢٦]

وحين تحدث عن المؤمنين قال : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ : ٣٦] .

إذن . . ففى الشر : جزاء وفاق . . وفى الخير : جزاء وعطاء .

والجزاء جُعْلٌ على عمل . . والعطاء جُعْلٌ على غير عمل . . لماذا ؟

لأن الحق سبحانه وتعالى وعد أنه من يعمل سيئة يجزه سيئة مثلها . لكن فى باب الخير ماذا يصنع ؟ من يعمل حسنة يجزه عشرة ، فحسنة تقوم أمام حسنة فتصير جزاء . . والتسعة تصير هي العطاء[1] .

---

(١) ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ أى : موافقا لأعمالهم . عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما؛ فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة . و﴿ جَزَآءً ﴾ نصب على المصدر ، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم ؛ قاله الفراء والأخفش .

وقال الفراء أيضا : هو جمع الوفق ، والوفق واللفق واحد .

وقال مقاتل : وافق العذاب الذنب ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار .

وقال الحسن وعكرمة : كانت أعمالهم سيئة ، فأتاهم الله بما يسوؤهم . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ ﴾ أى : لا يخافون ﴿ حِسَابًا ﴾ أى : محاسبة على أعمالهم .

وقيل : معناه لا يرجون ثواب حساب . الزجاج : أي إنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم . ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ أى : بما جاءت به الأنبياء .

وقيل : بما أنزلنا من الكتب .

وقال ابن جرير الطبري فى تأويل قوله تعالى : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ =

= يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً ﴾ أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف فى هذه الآيات ثوابا من ربك بأعمالهم ، على طاعتهم إياه فى الدنيا .
وقوله : ﴿ عَطَآءً ﴾ يقول : تفضلا من الله عليهم بذلك الجزاء ، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشرا فى بعض ، وفى بعض بالواحد سبع مئة ، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فعطاء من الله .
وقوله : ﴿ حِسَابًا ﴾ يقول : محاسبة لهم بأعمالهم لله فى الدنيا .

لا يملكون منه خطابا

السؤال : يصف الله عز وجل الكفار يوم القيامة بأنهم ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ : ٣٧] فما معناها ؟

الجواب : معناه . . أن الخلق كلهم مقهورون . . فكما كان هناك قهر فى الخلق أولاً ، كان قهر فى الحساب ثانيًا .

ثم لماذا ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ ؟

لأن الحق سبحانه حينما خلق الدنيا ، جعل فيها أسبابًا هو خالقها أيضًا ، ولكن الإنسان قد يغفل بالسبب عن المسبب . . تبقى الأسباب هي التى أمامه دائمًا . لكن فى الآخرة الأسباب ممنوعة ، والإنعام كله من الله مباشرة ، والمسألة ليس فيها وسائط ، بل أصبحت القدرة المباشرة . . فى « كن » . وإذا كانت المسألة هكذا ، إذن فلا يملك أحد من الله خطابا . ليس منكم فقط ؟ بل من الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] ويقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] .

إذا كانوا فى الدنيا لم يقولوا إلا صوابًا ، فهل من المعقول أن يقولوا فى الآخرة غير الصواب ؟

ما معنى الصواب ؟

الصواب هو : توافق الحق والواقع ، هذا هو الصواب ، والله تعالى لا يأذن لأحد أن يشفع لأحد إلا لمن رضى الله أن تكون شفاعته مقبولة .

إذن . . ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ يعنى : لا يشفع إلا بإذن الله ، والله لا يأذن لأحد بالشفاعة إلا وهى مقبولة .

يعنى : ساعة يقول له : اشفع لفلان ، يكون معناها : شفاعته مقبولة ، يعنى : مجرد الإذن بالشفاعة إعلام بالقبول .

وهنا قد يثور سؤال : وما فائدة الشفاعة إذن ما دام مجرد الإذن بالشفاعة إعلامًا بالقبول ، فما جدوى الشفاعة ؟

نقول : هذا تكريم للشافع ، ولذلك : عندما تقع الأشياء ولابد فيريد اللَّه أن يكرم منزلة الشافع ، فيأذن له أن يشفع ، وما دام أَذِنَ له أن يشفع فهي مضمونة ، فهي إذنٌ تدل على أن من يشفع مكرَم عند اللَّه .

العذاب القريب

السؤال : يقول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [النبأ : ٤٠] فما هو هذا العذاب القريب ؟

الجواب : كل ما هو آت قريب . . فما دام الشيء آتٍ ، فمهما طال زمنه فهو قريب ، بدليل أنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ . . العذاب فيه عذاب بعيد قليلاً وعذاب قريب . العذاب القريب بعدما يموتون ، وبعد ذلك يشاهدون مقاعدهم وتعرض عليهم أعمالهم ، ويرون نوع العذاب ويظلون فى عذاب إلى أن تقوم الساعة ، قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور : ٤٧] .

الآيات تقول : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الطور] . . ما هذا اليوم ؟ يوم القيامة .

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ . يعنى : قبل ذلك ؟

وهناك : ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] متى هذا ؟ هذا فى يوم القيامة، لكن يقول قبلها : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

إذن . . فهنا يصح أن نقول : إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا ، لا يكون المقصود به يوم القيامة بل المقصود به ما يشهده الإنسان من واقع ، وما يعذب به الذى هو فى القبر ، أو يكون المراد به يوم القيامة، وسماه قريبًا ، لأن كل ما هو آت قريب .

تزويج النفوس

السؤال : يقول الله تعالى فى سورة التكوير بصدد الحديث عن يوم القيامة : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] فما معنى تزويج النفوس يوم القيامة ؟

الجواب : لكي نعرف معنى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ بداية نسأل : ما النفس ؟ كلمة النفس تخبَّط الفلاسفة فى تحديد معناها ، مرة قالوا : هي الروح ، ومرة قالوا : هي الكلية ، كلام غير صحيح ، لم يستطع أن يحددها سوى القرآن .

كلمة « نفس » تطلق على امتزاج عنصر الروح بالمادة . . فقبل أن يمتزج عنصر الروح بالمادة لا تكون هناك نفس . . فالروح وحدها ليست نفسًا ، والمادة وحدها ليست نفسًا ، ولذلك حين يقبض الله تعالى الحياة فى أي إنسان يقول : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [الزمر : ٤٢]

ما معنى يتوفاها ؟ يفصل روحها عن جسدها ، هذا هو معنى : ﴿ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ إذن . . فمدلول النفس هو : امتزاج الروح بالجسد ، وما دام هذا مدلولها ، فكيف تكون قد : ﴿ زُوِّجَتْ ﴾ يوم القيامة ؟

بعض العلماء قال : يعنى عادت الأرواح إلى أجسادها بعد أن افترقت بالوفاة ، فقد جمع شيئًا إلى شيء ، أي زوجها ، زوَّج المادة بالروح فعادت ، هذا معنى .

ومعنى آخر وهو : أنَّ خلْقَ الله أصبحوا أزواجًا ، أى : أصنافًا ، المتقون فى الدرجة الأولى وحدهم ، وفى الدرجة الثانية أصحاب اليمين وحدهم ، وأهل الشمال وحدهم . ولذلك يقول الله سبحانه فى سورة الواقعة : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ ﴾ [الواقعة] فمعنى : زوجت وزعت أصنافًا .

أو أنها ساعة الحشر تأتى كل فرقة بداعيها ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء : ٧١] .

أو أن النفوس زوجت ، بمعنى : أنها كان لها عمل ، والعمل افترق عنها .

المنافسة .. والحسد

السؤال : يقول الله تعالى فى سورة المطففين بعد أن ذكر الأبرار وما أعد لهم من نعيم : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] . فما التنافس وما الفرق بينه وبين الحسد والتمنى ؟

الجواب : المنافسة هى : المغالبة على الشىء النفيس ، تقول : نافست فلانًا ، يعنى غالبته على شىء نفيس ، أنا أريد أن آخذه ، وهو يريد أن يأخذه ، فكل واحد منا يريد أن يحصل على ذلك النفيس .

أو أن المنافسة هى : لون من مجاهدة النفس للحصول على صفات عالية ظفر بها الفضلاء فأتشبه بهم من غير أن أُلحق بالغير ضررًا . . يعنى : أن أجتهد لأظفر بشىء ظَفرَ به الفضلاءُ بدون أن أُلحِقَ ضررًا بالآخرين .

وبذلك تختلف المنافسة عن الحسد .

لأن مراتب التمنى فى الخير أن يرى واحد واحدًا فى خير ، فيغيظه أن يكونُ ذلك الرجل فى الخير وإن كان المغتاظ نفسه فى خير . . يعنى يوجد غنىٌ يغيظه أن يغتنى شخص آخر ، هذه هى الصورة **الأولى** .

ثانيًا : فقير يرى واحدًا غنيا ، تنوعت الصفة هنا ، والموقف هنا يتطلب : أن تتمنى مثل ما معه ، أو تتمنى أن يزول ما عنده .

أول مرتبة فى هذا القسم : أن يتمنى أن يزول ما عنده مهما بقيت فقيرًا مثله ، وهذه مرتبة دنيئة .

وثانى مرتبة : أن الذى عنده يزول ويجىء لك . أو تتمنى أن تكون مثله .

لكن كل ذلك لم يتعد التمنى . والتمنى كما يقول الأدباء : بضاعة الحمقى ، وكونك تتمنى الأشياء بدون أن تعمل للوصول إلى تلك الأشياء هو من عمل الحمقى الذين ليس عندهم همة عالية ، وليس عندهم طموح .

والمنافسة غير ذلك . . لماذا ؟

لأن المنافسة التى جاءت فى القرآن : منافسة فى شىء من الممكن أن يأخذ المتنافسون جميعًا حظوظهم منه ولا ينقص ، إذ هي فى نعيم الأبرار يوم القيامة .

فى أمور الدنيا ، هناك خير محدود ظاهر ، هذا يريد أن يأخذه ، وهذا يريد أن يأخذه ، بحيث إذا أخذه هذا لم يظفر به الثانى ، فأنت تتمنى أن تأخذه منه وهو لا يأخذه .

لكن المنافسة فيما عند الله تختلف ، فالله تعالى يقول : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] . فليتنافس المتنافسون ما شاءوا ، وأنت ستأخذ ، وأنا سآخذ ، حظك لا ينقص حظى ، وحظى لا ينقص حظك .

إذن . . فتلك أشرف أنواع المنافسة ، وغيرها هو التمنى ، فإذا تمنيت زوال النعمة عن غيرك فأنت حاسد .

الاستفهام فى القرآن

السؤال : **فى القرآن الكريم أساليب استفهامية كثيرة ، ظاهرها أن الله تعالى يستفهم من خلقه عن شىء ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ١] ؟ فما المراد الحقيقى بهذه الأساليب الاستفهامية ؟**

الجواب : الحق سبحانه منزه عن أن يستفهم ليفهم . . لأن الأصل فى الاستفهام أن تريد فهْمَ ما لم تعلم ، ولكن السؤال يردُ لغير ذلك . . يردُ لعلِم السائل ، ولكن ليقرر المسئول .

فقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ هل الحق يحتاج إلى أن يفهم أنه شرح صدر محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى شرحه ؟

إذن . . فموضوع حقيقة الاستفهام لا تتأتى هنا ، ولكن بدلاً من أن يقول الحق : شرحنا لك صدرك ، فيكون إخبارًا من الله ، يدع الإخبار لمشروح الصدر ، ليجيب هو : نعم شرحت صدرى يا رب ، فيكون إقرارًا منه بما فعل الحق به .

وهذا الإقرار بما فعل الحق به تثبيت للأمر ، لأن الله لو قال ذلك ، فربما وجد مجادل ، ولكن مشروح الصدر نفسه هو الذى سُئل ، وهو الذى أجاب .

طغيان الإنسان

السؤال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾ [العلق] .

الجواب : الإنسان حين يحرث الأرض فتعطيه الثمر . . يعتقد أنه هو الذى أخضع الأرض ووضع لها قوانينها لتعطيه ما يريد ، يضغط على زر الكهرباء فينير المكان فيعتقد أنه هو الذى أوجد هذه الكهرباء ! يركب الطائرة ، وتسير به فى الجو فيعتقد أنه هو الذى جعلها تطير ، وينسى الخصائص التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى الغلاف الجوى ليستطيع أن يحمل هذه الطائرة ، يفتح التليفزيون ويرى أمامه أحداث العالم فيعتقد أن ذلك قد حدث بقدرته هو ، وينسى أن الله تبارك وتعالى وضع فى الغلاف الجوى خصائص جعلته ينقل الصوت والصورة من أقصى الدنيا إلى أقصاها فى ثوان معدودة ، وهكذا كل ما حولنا يظن الإنسان أنه أخضعه بذاته ، بينما كل هذا مُسخَّر من الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان ، وهو الذى خلق ووضع القوانين .

نقول له : إنك لو فهمت معنى ذاتية الأشياء ما حدَّثتك نفسك بذلك . الشىء الذاتى هو ما كان بذاتك لا يتغير ولا يتخلف أبدًا ، إنما الأمر الذى ليس بذاتك هو الذى يتغير .

وإذا نظرت إلى ذاتيتك تلك التى أغرتك وأَطْغَتكَ ، ستفهم أن كلمة ذاتية هي ألا تكون محتاجًا إلى غيرك بل كل شىء من نفسك ، وأنت فى حياتك كلها ليس لك ذاتية ؛ لأن كل شىء حولك متغير بدون إرادتك ، وأنت طفل محتاج إلى أبيك فى بدء حياتك ، فإذا كبرت وأصبح لك قوة واستجابت الأحداث لك فإنك لا تستطيع أن تجعل فترة الشباب والفتوة هذه تبقى ، فالزمن يملك ولكن لفترة محدودة ، فإذا وصلت إلى مرحلة

الشيخوخة فستحتاج إلى من يأخذ بيدك ويعينك ، ربما على أدق حاجاتك وهى الطعام والشراب .

إذن . . فأنت تبدأ بالطفولة محتاجًا إلى غيرك ، وتنتهى بالشيخوخة محتاجًا إلى غيرك ، وحتى عندما تكون فى شبابك قد يصيبك مرض يقعدك عن الحركة ، فإذا كانت لك ذات حقيقية فادفع هذا المرض عنك وقل لن أمرض ، إنك لن تستطيع .

اللّه سبحانه وتعالى أوجد هذه المتغيرات . حتى ينتهى الغرور من الإنسان نفسه . ويعرف أنه قوى قادر بما أخضع اللّه له من قوانين الكون ، لنعلم أننا جميعًا محتاجون إلى القادر ، وهو اللّه سبحانه وتعالى ، وأن اللّه غنى بذاته عن كل خلقه ، يغير ولا يتغير ، يميت وهو دائم الوجود ، يجعل من بعد قوة ضعفًا وهو القوى دائمًا ، ما عند الناس ينفد وما عنده تبارك وتعالى لا ينفد أبدًا . . هو اللّه فى السموات والأرض .

إذن . . فليست لك ذاتية حتى تدعى أنك أخضعت الكون بقدراتك ، لأنه ليس لك قدرة أن تبقى على حال واحد وتجعله لا يتبدل ولا يتغير ، فكيف تكفر باللّه تبارك وتعالى وتستر وجوده ، كل ما فى الكون وما فى نفسك شاهد ودليل على وجود الحق سبحانه وتعالى .

قلنا إن الكافرين صنفان : صنف كفر باللّه وعندما جاء الهدى حكّم عقله وعرف الحق فآمن ، والصنف الآخر مستفيد من الكفر ، ولذلك فهو متشبث به فمهما جاءه من الإيمان والأدلة فإنه يعاند ويكفر ، لأنه يريد أن يحتفظ بسلطاته الدنيوية ونفوذه القائم على الظلم والطغيان ، ولا يقبل أن يُجَرَّدَ منهما ولو بالحق ، هذا الصنف هو الذى قال عنه اللّه تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٦] .

إنهم لم يكفروا لأن بلاغًا عن اللّه سبحانه وتعالى لم يصلهم ، ولم يكفروا لأنهم فى حاجة إلى أن يلفتهم رسول أو نبي إلى منهج اللّه ، هؤلاء اتخذوا الكفر صناعة ومنهج حياة ، فهم مستفيدون من الكفر لأنه جعلهم سادة ولأنهم متميزون عن غيرهم بالباطل ، ولأنهم لو جاء الإيمان الذى

يساوى بين الناس جميعًا ويرفض الظلم ، لأصبحوا أشخاصًا عاديين غير مميزين فى أي شىء .

هذا الكافر الذى اتخذ الكفر طريقًا لجاه الدنيا وزخرفها ، سواء أأنذرته أم لم تنذره فإنه لن يؤمن ، إنه يريد الدنيا التى يعيش فيها ، بل إن هؤلاء هم الذين يقاومون الدين ويحاربون كل من آمن ، لأنهم يعرفون أن الإيمان سيسلبهم مميزات كثيرة ، ولذلك فإن عدم إيمانهم ليس عن أن منهج الإيمان لم يبلغهم ، أو أن أحدًا لم يلفتهم إلى آيات اللّه فى الأرض ، ولكن لأن حياتهم قائمة ومبنية على الكفر .

الهدى والتقوى

السؤال : ما المقصود بالهدى والتقوى فى القرآن الكريم ؟

الجواب : يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ ۝ ﴾ [العلق] .

ولنقف الآن عند الهدى لنوضح المقصود به . ونوضح بعد ذلك المقصود بالتقوى .

إن الهدى هو الدلالة التى توصل إلى المطلوب . . وكل دلالة توصل الإنسان إلى المطلوب اسمها : هدى .

فالإشارات التى تدل على الطرق هى : « هدى » . ومن يقترح على الإنسان نصيحة ما . . هو « هدى » . والذى يوضح لك المنهج الموصل لأى هدف هو « هدى » .

إذن . . فكل « هدى » يتطلب هاديًا . . ويتطلب مهديا .

وكان « الهدى » هو القرآن . وكل مؤمن به مهدى .

إن البشرية قبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تضاربت فى الوصول إلى الهدى .

اعتقد البعض فى الأصنام .

وعَبد البعض النار .

وحرَّف البعض الكتب السماوية المنزلة إليهم .

وضع الإنسان ثقته فى أشياء لا تملك الحكمة أو العلم ولا توصل إلى المطلوب بأقل جهد وفى أقصر زمن .

لذلك جاء القرآن موضحًا بأن اللّه حق وغيب .

وأن الرسول يتنزل عليه المنهج الشامل الجامع .

ولا كامِلَ علماً إلا اللّه .. حيث إن كل شيء ملك له وكل الكون خاضع له . فإن اتبعنا منهجه كان لنا الإيمان ولا استدراك على مطلوب اللّه وقدرته على الهداية .

إن الحق يعلِّمُ محمدًا صلى اللّه عليه وسلم أن من يتبع الهدى المبين وهو القرآن الكريم لن يضل أبدًا .

إن قلب المؤمن يردد آيات الحق فى مواجهة المشركين : ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٧١]

إذن .. فالذى يتبع من ينهى عن الصلاة يضل .. ويفقد الهدى .

ومن يلعب فى الحياة دور الناهى عن اتباع الهدى ينال من حماقته الكثير . وهذا سلوك مرفوض .

إن الطائع لمنهج اللّه يتعدى خيره إلى كل مَنْ حوله .

لأن الطائع لمنهج اللّه لن يخالف أبدًا منهج الحق ، ذلك أن المؤمن يعرف أن من أسس الإسلام اتباع هذا القرآن الكريم وهدى الرسول صلى اللّه عليه وسلم .

فـ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] .

وهذا عين المسلك المطلوب لخير البشرية .

إن المؤمن قدوة لا يسُبّ ، لا يسرق ، لا ينافق ، لا يتعالى على ضعيف ولا يتجبر على مظلوم .

إذن .. فخير الذى يسير على الهدى ليس مقصورًا على نفسه فقط ، ولكنه خير ممتد ومنتشر لمن حوله .

لكن .. ما بال هؤلاء الذين يأمرون بالتقوى ؟

---

(١) رواه البخارى [٦٤٨٤] ومسلم [٤١/ ٦٥] عن جابر رضى اللّه تعالى عنه .

إن التقوى تعنى فى بعض معانيها الاحتراز من الشر .

والمتأمل لآيات الوقاية فى القرآن الكريم يرى لوحات من الجلال وآيات ترسم أمام الإنسان طريق الجمال .

وتأتى كلمة « التقوى » حماية للإنسان المؤمن وتنبيهًا له لجلال كمال الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

إن الحق جل وعلا يحذر المؤمنين به ويأمرهم أن يحفظوا أنفسهم وأهلهم باتباع منهجه الحق .

اليقين .. فى القرآن الكريم

السؤال : ما أنواع اليقين ؟

الجواب : أسمى أنواع اليقين هو : « حق اليقين » ، وقبلها : « عين اليقين » ، وقبل : « عين اليقين » « علم اليقين » ، وحينما عرض الحق سبحانه هذه المسألة قال : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر] .

الله سبحانه يعطينا علم اليقين ، ويصدقه المؤمنون بهذا العلم قبل أن يروه ، وسيرى المؤمنون - وهم على الصراط - النار وذلك عين اليقين . أما مسألة دخول الذين يرون الجحيم إليها فأمر سكت عنه الحق سبحانه ؛ لأن هناك من يدخل الجنة ولا يدخل النار ، وهناك من يدخل النار ولا يدخل الجنة . والكافرون بالله هم الذين سيرون الجحيم حق اليقين . ويأتى « حق اليقين » فى موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝٩٥ ﴾ [الواقعة] .

فكل مكذّب ضالٌ سيهوى إلى الحميم ويَصْلَى الجحيم ويعانى من عذابها حق اليقين .

إذن .. فقوله سبحانه عن مسألة قتل عيسى ابن مريم : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ . يصدقه الذين لم يشاهدوا الحادث ، تصديق علم يقين لأن الله سبحانه هو القائل ، والذين رأوا الحادث عرفوا أنهم لم يقتلوه ولكنهم شكوا فى ذلك . وأما من باشر عملية القتل لإنسان غير عيسى عليه السلام فهو الذى عرف حقيقة اليقين .

سورة الإخلاص .. ثلث القرآن

السؤال : **جاء فى الحديث أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن[1] ، نريد من فضيلتكم بيانًا شافيًا لذلك ؟**

الجواب : مقاصد القرآن ثلاثة : عقائد ، وأحكام ، وقصص .. وسورة الإخلاص أخذت الثلث الأول كله ، وهو العقائد التى ترتكز فى الإسلام على التوحيد .

ولتوضيح أمر التوحيد نقول : إن المناهج الموجودة على ظهر الأرض هدفها جميعًا من وجهة نظر أصحابها : تصحيح حركة الإنسان ، بحيث لا يشذ عن الصواب، ولا يخطئ فى حركته .

وما دام الإنسان ليس وحيدًا فى الكون ، فإن أهم ما يصوب تحركه هو ألا تتعارض حركات البشر المختلفة مع بعضها ؛ لأن هذا التعارض يجعلها حركات متعاندة لا متساندة . وهذا التعاند هو سبب فساد الحياة ، فلا يمكن بالتالى أن تتفق الحركات إلا إذا كان الآمر بالحركات واحدًا .

فالوحدانية بالضرورة أساس استقامة حركة الحياة .. وفى الآية الكريمة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] نجد مدلولاً عميقًا لكلمة ﴿ أَحَدٌ ﴾ ، ونستوعب هذا الفرق أكثر بالفرق بين كلمتى : واحد ، وأحد .

فالواحد فرد لا يوجد له نظير ، ولكنه قابل للتركيب من عدة أجزاء . وبذلك لا يكون « أحدا » لأن الأحد غير مركب .

---

(١) روى مسلم [٨١١/٢٥٩] عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن ؟ » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » .

أحكام شرعية

السؤال : ما الفرق بين التقنين والتجريم والعقاب ؟

الجواب : اللّه سبحانه وتعالى هو الذى خلق النفس البشرية ثم قَنَّنَ لها قوانين ، جَرَّمَ من يخالف هذه القوانين ، وبعد أن جَرَّم الخروج عن القوانين وضع عقوبة على الجريمة .

والتقنين فى ذاته يقطع العذر ، فساعة أن قَنَّنَ الحق سبحانه لا يستطيع واحد أن يقول : « لم أكن أعلم » ؛ لأن ذلك هو القانون ، وحين يُجرِّم فهذا إيذان منه بأن النفس البشرية قد تضعف ، وتأتى بأشياء مخالفة للمنهج ، فنحن لسنا ملائكة ، واللّه سبحانه حين يقنن فقد قطع العذر، وحين يُجرِّم فهو إيذان بأن ذلك من الممكن أن يحدث . وبعد ذلك يعاقب ، وهناك أفعال مُجرَّمة ، ولكن المشرِّع الأول لم يجرّمها ولم يضع لها قانونًا ، لا عن تقصير منه ، ولكن التجريم يأتى كفرع .

إن الحق سبحانه قدَّر أن النفس البشرية قد تفعل ذلك ، كالسرقة - مثلاً - ولذلك فهو سبحانه وضع حَدًّا للسرقة ، وقد تضعف النفس البشرية فتسرق ، أو تزنى ؛ لذلك فالحد موجود، لكن هناك أشياء لا يأتى لها بالتجريم والعقوبة ، وكأنه سبحانه يريد أن يدلنا من طرف خفىٍّ على أنها مسائل ما كان يتصور العقل أن تكون .

مثال ذلك اللواط ، لم يذكر له حَدًّا، لماذا ؟ لأن الفطرة السليمة لا تفعله ، بدليل أن اللواط موجود فى البشر وغير موجود فى الحيوان .

لكن ليس معنى ألا يذكر الحق للشىء حدًّا أنه لا يدخل فى الحساب ، لا ، إنه داخل فى الحساب بصورة أقوى ؛ لأن التجريم والعقوبة على التجريم تدل على أن الفعل من الممكن أن يحدث ، وحين يترك هذه المسألة بدون حَدٍّ ، فمعنى ذلك أن الفطرة السليمة لا يصح أن تفعلها ، ولذلك لم

يضع لها حدًا أو تجريمًا ، وترك الأمر لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو المكلّف بالتشريع أن يضع حدًا لهذه المسألة .

إذن . . فعدم وجود نص على جريمة أو عقوبة على جريمة ليس معناه ألا يوجد حساب عليها، لا، هناك حساب ، فقد تكون العقوبة أفظع ، وقد أمر الرسول صلى اللّه عليه وسلم بإلقاء الفاعل للّواط والمفعول به من أعلى جبل . إن عقوبتهما أن يموتا بالإلقاء من شاهق جبل .

إذن . . فالعقوبة هنا أكثر من الرجم .

وهكذا نعرف أن عدم التجريم وعدم التقنين بالعقوبة لأى أمر غير مناسب للعقل وللفطرة السليمة دليل على أنّ هذا الأمر غير مباح ، والحق سبحانه وتعالى لم يترك تلك الأمور سكوتًا عنها ، ولكن هو إيحاء من طرف خفى ، أن ذلك لا يصح أن يحدث ، بدليل أنها لا تحدث فى الحيوانات التى هي أدنى من الإنسان .

وبعد ذلك قد يتعلل الإنسان الفاعل لمثل هذا القبح الفاحش بأنها شهوة بهيمية . نقول : يا ليت شهوتك المخطئة فى التعبير عن نفسها بهيمية ؛ لأن البهائم لا يحدث منها مثل ذلك الفعل أبدًا، فلا أنثى الحيوانات تقترب من أنثى أخرى ، وكذلك لا يوجد ذكر حيوان يقترب من ذكر آخر ، وإذا ما حملت أنثى الحيوان فإنها لا تسمح لأى ذكر من الحيوانات بالاقتراب منها .

إذن . . فالقبح الفاحش من المخالطة على غير ما شرع اللّه سبحانه يمكن أن نسميها شهوة إنسانية ، فالبهائم لا ترتكب مثل تلك الأفعال الشاذة . والذى يقول عن الشهوة إنها بهيمية فهو يظلم الحيوانات .

والحق سبحانه وتعالى - على الرغم من هذه الخطايا - يبين لنا أنه التواب الرحيم لماذا ؟

انظر إلى الحكمة فى التوبة وفى قبولها ، فلو لم تحدث معصية من الإنسان الذى آمن ، لفقَد التكليف ضرورته . فمعنى التكليف أنه عملية يزاحم الإنسان فيها نفسه ويجاهدها لمقاومة تنفيذ المعاصى أو لحملها على مشقة الطاعة .

اللَّه ليس كمثله شيء

السؤال : **وصف اللَّه تعالى نفسه فى القرآن بأن له يدًا ووجهًا واستواءً على العرش إلى غير ذلك مما يشبه أوصاف الخلق ، واضطربت الآراء فى الكلام عن هذه الأوصاف ، فما وجه الصواب ؟**

الجـــواب : كل ما ورد من إطارات الأسماء أو الصفات للَّه ونظيره موجود فى الخلق ، فنحن نقتصر على القدر الذى وصف اللَّه به نفسه أما كيفيات الأشياء فلا ضرورة لها فى الإيمان . . اللَّه قال : أنا سميع . . أنا بصير .

إذن . . فله سمع وبصر . . لا تأخذ أنت من الصورة التى تعرفها للسمع وللبصر فى الخلق وتقول : إن سمع ربنا وبصره مثلنا ، لماذا ؟ لأنك أنت حاكم بأن ربنا له وجود والخلق لهم وجود ، هل وجود خلقه كوجوده ؟ لا فما دام وجود خلقه ليس مثل وجوده . فلماذا تريد أن تجعل سمع خلقه مثل سمعه وبصر خلقه مثل بصره . . إنك فى إطار أنه مخالف . اللَّه حى . . وأنا حى يتكلم الآن . هل الحياة عندى كالحياة عنده ؟ لا .

فإذا ورد اسم أو وصف للَّه يوجد مثله فى البشر فأنت أمام أمرين : ألا تمثل . وألا تعطل . تعطل : بأن تقول : اللَّه ليس له سمع ، لأن السمع للبشر . نقول لك : أنت تقيس ، لأن السمع عندنا له آلة . وأنت نزهت اللَّه عن هذا الأمر . صحيح أنت تريد أن تنزهه ، ولكن لماذا تعطل النص ؟

قال اللَّه : إن لى سمعًا ، فأنت تأخذه على أن له سمعًا ، ولكن كيفية السمع هذه ليست عَمَلِى . والكيفيات دائمًا ليست محل إيمان .